٧ - فتوحات الإسكندر الأكبر

فـى عـام ٣٣٤ ق . م ، تحـرك الإسـكندر المقدونـى علـى رأس جيـش مـن المقدونيين قوامه ٣٥٠٠٠ (خمسة وثلاثون ألف رجل) مـن مدينـة بيـلا العاصمـة العتيدة لمملكة مقدونيا للحـرب ضـد الفـرس فـوق الأراضـى الفارسـية ذاتـها . وكانت تلك هى المرة الأولى التى تغزو فيها اليونان بلاد الفـرس بعـد أن كـانت الجيوش الفارسية هى التى تغزو بلاد اليونان مرة تلو الأخرى .

كان الملك "دارا" ملك الفرس يحلم بالسيطرة على بلاد اليونان وإخضاعها لسيطرته

وكان للجيش الفارسى تحت قيادة ملك الفرس دارا الثالث ميزة وجود أسطول فارسى كبير الحجم فى البحر المتوسط ، بينما رفض البحارة اليونانيون أن يضعوا سفنهم فى خدمة جيش الإسكندر المقدونى ، ولئن كان الإسكندر قد استطاع مؤقتا أن يخضع المدن اليونانية لنفوذه اعتمادا على قوة جيشه البرى فلقد رفض البحارة اليونانيون ، وأصحاب السفن مساعدة جيش الإسكندر ، ولم تكن للإسكندر سيطرة على سفنهم فى البحر المتوسط . وكان أصحاب السفن اليونانيون يفضلون بطبيعة الحال أن تعمل سفنهم فى نقل البضائع التجارية بين أسيا وأوروبا ليحصلوا على الأرباح الطائلة ، وينفرون بشدة من أن يضعوا سفنهم فى خدمة جيش الإسكندر المقدونى ، كما أن معظم الموانئ الصالحة لرسو وخدمة السفن على الشاطئ الجنوبى للبحر المتوسط كانت تحت السيطرة التامة للفرس حتى ذلك الحين .

ولم يكن البحارة ولا أصحاب السفن اليونانيون يوافقون على أن يحرموا من خدمات الموانئ التى يسيطر عليها الفرس لسفنهم .

كما أن مغامرة الإسكندر فى محاربة الفرس فوق أرضهم لم تكن مغامرة مضمونة النجاح ، إذ كانت قوة الإمبراطورية الفارسية الحربية فى ذلك الحين قوة مرهوبة الجانب ، وكان الفرس هم الذين يهاجمون ، وكان اليونان هم الذين يدافعون حتى قلب الإسكندر المقدونى اتجاه الحرب بين الفرس واليونان فجأة لأول مرة ، فمن ذا الذى يدرى ما يمكن أن تسفر عنه نتائج هذا التحول التاريخى فى الحرب بين الفرس واليونان ؟!

ولم يأبه الإسكندر المقدونى بضآلة حجم الأسطول المصاحب لجيشه فى شمال البحر المتوسط . وسنرى كيف نجحت عبقرية الإسكندر المقدونى فى التغلب على عقبة تفوق الأسطول الفارسى فى البحر المتوسط على الأسطول المقدونى المصاحب لجيش الإسكندر .

".. كان الجيش الفارسى قوة مرهوبة الجانب ، وكان هو الذى يبدأ بالهجوم على بلاد اليونان"

وعبر جيش الإسكندر المقدونى مضيق الدردنيل أو مضيق " هلسبونت Hellespont" على رأس جيشه المتمرس بفنون القتال وخوض غمار المعارك مما كان يجعله أقوى آلة حرب يمتلكها أى قائد فى ذلك العصر . ولم يصادف جيش الإسكندر المقدونى أى مقاومة عند عبوره مضيق الدردنيل ، وكأنما كان الفرس لا يتوقعون أبدا أن يعبر جيش يونانى ذلك المضيق لغزو بلادهم ، أو كأنما كانوا يريدون لذلك الجيش المقدونى أن يعبر مضيق الدردنيل لكى يهزموه ويدمروه فوق أرضهم . وعبر الجيش المقدونى مضيق الدردنيل بكل سهولة دون أى مقاومة من الفرس ، ووقف الإسكندر وجنوده على أرض أسيا الصغرى فيما يعرف باعتبار أنه تركيا الآن .

وبعد زيارة قصيرة لآثار الحرب فى طروادة وبعد أن عزف الإسكندر على "الهارب" الذى كان يعزف عليه البطل إخيل ، وبعد أن رقص فى قلعة طروادة عاد الإسكندر إلى جيشه للإشراف على توزيع المكافآت المالية عليهم ، وإذ لم يبق للإسكندر شىء سأله أحد قواده قائلا : " وماذا أبقيت لنفسك ؟ " وكان جواب الإسكندر علية كلمة واحدة هى : "الأمل" .

ووجد الإسكندر فى مواجهته نهرا هو نهر جرانيكوس Granicus يقف جيش فارسى فى مثل حجم جيشه على الضفة الأخرى منه ، وقرر الإسكندر عبور النهر على الفور ، وقال أحد ضباطه : " لا ينبغى أن نبدأ الحرب فى شهر يونيو إذ لم يكن أبوك يتفاءل بالحرب فى شهر يونيو " فقال له الإسكندر : " اعتبر أنك فى شهر مايو ". وقال له ضابط آخر: " مضى أكثر من نصف النهار ، فلنؤجل العبور للغد". فقال له الإسكندر : "لقد عبرنا البحر عند الدردنيل ، وسوف تحمر مياه الدردنيل خجلا لو كنا نخاف أن نعبر نهرا صغيرا " . وقال ضابط آخر : " يوجد جيش للفرس على الجانب الآخر للنهر " . فقال له الإسكندر : " هل جئنا إلى هنا لسبب آخر غير مواجهة العدو وتحطيمه ؟ " وهكذا كانت بديهة الإسكندر حاضرة ، وكانت كلماته حاسمة مقنعة ، وعبر الجيش المقدونى وراء الإسكندر أول العوائق المائية عند نهر جرانيكوس فى شهر يونيو سنة ٣٣٤ ق . م. وانتصر الإسكندر المقدونى على أول جيش فارسى صادفه عند نهر جرانيكوس .

وواصل الإسكندر الزحف فى الأراضى الفارسية ، وتمكن من الاستيلاء على ساردیس ، وإفيسوس وميليتوس ، ثم استولى على حصون هاليكارناس بعد قتال شديد . وكانت هذه المواقع كلها بالقرب من شاطئ البحر المتوسط جنوبى شبه جزيرة الأناضول ، ولم يتدخل الأسطول الفارسى على الإطلاق لمساعدة أى جيش فارسى فى معركة ضد الإسكندر على الإطلاق .

واستمر جيش الإسكندر فى زحفه قدما حتى وصل إلى خليج الإسكندرونة على الحدود التى تفصل بين تركيا وسوريا الآن ، أى أن جيش الإسكندر كان قد نجح فى اختراق كل أراضى شبه جزيرة الأناضول (تركيا الآن) من الغرب إلى الشرق .

وعند الإسكندرونة كان الملك الفارسى دارا الثالث بنفسه يقود جيشا ضخما ، ولكنه كان يعسكر بجيشه وراء سلسلة من الجبال كانت تفصل بينه وبين الشريط الساحلى الموازى للبحر المتوسط ، حيث كان جيش الإسكندر يشق طريقه فى الأراضى التابعة للإمبراطورية الفارسية .

ويبدو أن " دارا الثالث " الذى كان يحمل لقب ملك الملوك كان لا يريد أن يلاقى جيش الإسكندر فى معركة تصادمية بالمواجهة بين الجيشين تفاديا لهزيمة ربما يصاب بها جيش يقوده هو بنفسه ، وسمح للجيش المقدونى أن يتجاوزه مواصلا طريق تقدمه شرقا بهدف أن يقطع جيش الملك دارا الثالث خط الرجعة والانسحاب والإمدادات عن جيش الإسكندر . وعندما عرف الإسكندر بوجود جيش الملك دارا الثالث وراء مؤخرة جيشه أدرك بموهبته وعبقريته العسكرية على الفور أن من الخطورة أن يواصل تقدمه مع وجود جيش فارسى كبير فى مؤخرة قواته . وهذه هى ميزة القائد الذى وهبه الله قدرة على الملاحظة وذلك الذى يسمى فى التاريخ العسكرى الحديث " الخيال العسكرى السليم للقائد فى المعركة Military Imagination " . الملك الفارسى يريد أن يتجنب المعركة التصادمية بالمواجهة مع الجيش المقدونى مكتفيا بتحقيق هدف محدد هو قطع خط الرجعة على الجيش المقدونى والفصل بينه وبين قواعد إمداده وتموينه فى مقدونيا

كان الملك "دارا الثالث" يحاول تجنب حدوث معركة تصادمية
مع الإسكندر وكان يأمل فى قطع طريق العودة عليه

وأدرك الإسكندر بقدرته الهائلة على تصور الأهداف التى يريد العدو الوصول إليها فى المعركة ، واتخذ قراره ووضع الخطة المناسبة للقضاء على الأهداف التى يرغب العدو فى تحقيقها لكى يحقق الإسكندر أهدافه هو عند خوض المعركة .

انقض الإسكندر الأكبر على جيش الفرس فى معركة هائلة عند إيسوس هرب بعدها دارا فى اتجاه الشرق

استدار الإسكندر بجيشه نحو جيش الملك دارا الثالث وانقض عليه فى معركة تصادمية هائلة عند إيسوس Issus ، وكان الجيش الفارسى ضخما فى حجمه ، ولكنه كان أشتاتا من أجناس مختلفة جمعه الملك دارا الثالث من الولايات الفارسية المختلفة، وكان ضباط جيشه يصطحبون معهم نساءهم وأطفالهم ، كما كان الملك دارا الثالث يصطحب معه كل نسائه وعددا كبيرا من محترفى الغناء [1] والرقص .

ولم يلبث جيش الملك دارا أن تحطم بددا ، ونزل الملك دارا من مركبته الحربية الفخمة ، وامتطى صهوة جواده وهرب شرقا بأقصى سرعة تاركا زوجاته وبناته يقعن فى أسر الإسكندر المقدونى .

وكأنما كان الإسكندر المقدونى يرغب فى أن تسبقه أنباء أنه قائد عسكرى متحضر على مستوى رفيع من الأخلاق الفاضلة ، إذ إنه عامل زوجات وبنات الملك الفارسى دارا الثالث بأدب جم واحترام شديد .

وبعد انتصار الإسكندر المقدونى انتصارا حاسما على جيش الملك الفارسى دارا الثالث فى موقعة " إيسوس " حتى وصل إلى بلدة شهيرة فى تركيا حتى الآن اسمها (جورديوم Gordium) ووصلت إلى مسامعه أسطورة قديمة تقول : إن أول رجل يدخل معبد " زيوس Zios " وهو يركب عربة سيصبح ملكا . ودخل فلاح فقير بعربة معبد زيوس ، وتوجه الناس على الفور ملكا عليهم، وكان الرجل اسمه "جورديوم " فأصبحت البلدة تحمل اسمه .

وتمضى الأسطورة قدما لتقول : إن الملك جورديوم كان قد ربط آلة موسيقية ضخمة الحجم ذات عنق طويل هى آلة " الفدان " الموسيقية بالعربة التى كان قد دخل بها معبد زيوس بعقدة بالغة التعقيد وهو يقول : " إن من يحل هذه العقدة سيحكم العالم كله " .

---

[1] حسب تقاليد الفرس فى حروبهم .

وعندما دخل الإسكندر البلدة ، أراه أهلها العربة والآلة الموسيقية الضخمة مربوطة إليها بحبل طويل ، تشابكت وتداخلت أجزاؤه فى عقدة بالغة الإحكام والتعقيد ، لم يستطع أحد أن يفكها على الإطلاق .

وكان الإسكندر دائما سريع التصرف حاضر البديهة ، فامتشق سيفه وضرب العقدة وحرر الآلة الموسيقية من العربة وفك وثاقها المشدود إلى العربة بضربة واحدة من سيفه وأصبحت مثلا وأصبح الجيل بعد الجيل يرويها حتى الآن عندما يقول أحدهم عندما يجد الحل لمشكلة صعبة كانت مستعصية على الحل : " قطعنا عقدة جورديوم " . أى وجدنا الحل للمشكلة الصعبة .

وثمة أسطورة أخرى تقول : إن الإسكندر الأكبر كان بالقرب من بئر ماء ووجد على سطح البئر طبقا من النحاس وعليه نقوش كتابة تقول : " إمبراطورية الفرس ستتحطم على أيدى اليونانيين ". مما زاد ثقة الإسكندر فى أن يجرى مسرعا لملاحقة حظه السعيد .

لقد تشتت الآن جيش الملك الفارسى دارا الثالث ، ولكن الأسطول الفارسى كان لا يزال سليما موجودا فى البحر المتوسط .

ولم يكن يصحب جيش الإسكندر المقدونى سفن تكفى للقضاء على الأسطول الفارسى الذى أصبح موجودا الآن شمال شرق البحر المتوسط . وهنا أيضا تتجلى عبقرية الإسكندر المقدونى الحربية .

لم يأبه الإسكندر المقدونى لوجود الأسطول الفارسى فى شمال شرق البحر المتوسط . إن القوارب والسفن الحربية فى ذلك الوقت لم تكن مسلحة بالمدفعية الثقيلة والطوربيدات أو الصواريخ .

ولم يكن للأساطيل البحرية آنذاك قيمة حربية إلا فى حالة تدعيمها لجيش أو قوات برية تعمل بالقرب من شاطئ البحر ، بالإضافة إلى إنزال الجنود والخيول والإمدادات الحربية إلى البر ؛ لكى تستخدمها القوات البرية فى منطقة العمليات التى تقوم بها هذه القوات البرية .

ولقد تشتت القوات البرية الفارسية أمام جيش الإسكندر المقدونى ، وأصبح جيشه هو القوات العسكرية الموجودة على الساحل الشمالى الشرقى للبحر المتوسط .

ولم يكن أمام الأسطول الفارسى إلا اختيار أحد أمرين : أولهما هو أن يغادر جنوده القوارب والسفن الحربية لكى يحاربوا معركة برية ، وفى هذه الحالة سيجدون جيش الإسكندر المقدونى مستعدا للفتك بهم وهزيمتهم ؛ لأنهم يستحيل أن تكون أعدادهم وأسلحتهم مثل أعداد وأسلحة جيش الملك دارا الثالث المندحر ، والاحتمال الثانى هو أن يظل الأسطول الفارسى ساكنا هادئا فى البحر لا يعمل أى شىء ولا يقوم بأى نشاط عسكرى منتظرا أن يجىء الفرس بجيش جديد لمواجهة الإسكندر بالقرب من مكان الأسطول الفارسى . وعمل الإسكندر المقدونى على الفور لكى يحرم الأسطول الفارسى من كل قواعده على الشاطئ الشرقى للبحر المتوسط ، إذ أسرع بالجيش المقدونى لاحتلال ميناء صيدا الذى استسلم للإسكندر بسهولة ثم ميناء صور الذى قاوم الإسكندر مقاومة شديدة ، فأبقى الإسكندر على ميناء صيدا سليما وعامل أهله بكل رحمة وكرم ، ولكنه فتك بكل من وقع فى أسر الجيش المقدونى من أهل ميناء صيدا الذين قاوموا حصار الإسكندر لهم طوال سبعة أشهر كاملة .

وواصل الإسكندر المقدونى تقدمه السريع حتى وصل إلى غزة فى جنوب شرقى البحر المتوسط بالقرب من الحدود الشمالية الشرقية لمصر . وقاومته غزة لمدة شهرين ثم استسلمت .

وفتك الإسكندر بأهل غزة كما فتك من قبل بأهل ميناء صيدا وباع من بقى على قيد الحياة من الأسرى فى أسواق العبيد ، وأعلن ملك قبرص انضمامه وولاءه لجيش الإسكندر المقدونى ، وأضاف إلى أسطول الإسكندر مائة وعشرين قطعة بحرية حربية ، وهربت قطع الأسطول الفارسى ، إذ لم يبق لها أى مجال للعمل وتفرقت بددا .

الإسكندر الأكبر يدخل مصر بدون مقاومة ، والتى كانت تحتل فى وجدانه مكانة كبيرة

ودخل الإسكندر الأكبر مصر سنة ٣٣٢ ق . م . وازدادت سيطرة الإسكندر المقدونى على جميع الموانئ فى شرق البحر المتوسط . ووجد الإسكندر أن المصريين يرحبون بوصول جيشه إلى بلادهم ترحيبا شديدا دون إبداء أى مقاومة على الإطلاق، إذ كان المصريون قد عانوا وتألموا من الحكم الفارسى لبلادهم طوال مائتى سنة كانت حافلة بالمظالم الفارسية ، ونهب أموال المصريين وإذلالهم

والإساءة إلى معابدهم ومعتقداتهم الدينية ، ولم يكن لقدوم الإسكندر المقدونى بجيشه إليهم معنى سوى ذهاب سيد فارسى ظالم ومجىء سيد يونانى ، كان المصريون لديهم أمل كبير فى أن يكون سيدا كريما وعادلا ، وكان الإسكندر المقدونى بالفعل كريما وعادلا فى معاملته للمصريين .

وأظهر الإسكندر احتراما كبيرا نحو الديانة المصرية ، فلم يحطم أى تابوت يضم أى مومياء مصرية ملفوفة داخل تابوت ، ولم يمس عجل آبيس المقدس لدى المصريين آنذاك .

وكان اليونانيون عموما يكنون للمصريين احتراما كبيرا باعتبار أن المصريين كانوا أصحاب حضارة ، وكان لديهم تقدم علمى ملموس ، وكان العلماء اليونانيون والفلاسفة يرحلون إلى مصر لاستلهام علومها وفنونها وفلسفتها ومعتقداتها الدينية، كما كانت التجارة مزدهرة بين مصر واليونان . وكان الإسكندر يشعر بالامتنان للمصريين ويقدر حكمتهم فى عدم مقاومة جيشه أى مقاومة مسلحة على الإطلاق .

وفى واقع الأمر لم يكن المصريون آنذاك يستطيعون مقاومة جيش الإسكندر المقدونى، إذ كانت بلادهم خاضعة للاحتلال الفارسى طوال مائتى سنة وكان الفرس يحرمون على المصريين بناء جيش أو امتشاق سلاح، فلم يجد الإسكندر أى مقاومة عسكرية من جانب المصريين كما وجد مقاومة عسكرية فى ميناء صيدا وميناء غزة .

ولا ريب فى أن تعاليم أرسطو طاليس التى قام بتلقينها للإسكندر كان فيها إعجاب وإطراء لحضارة المصريين ، وأمر الإسكندر ببناء ميناء مصرى هو مدينة الإسكندرية لتكون أداة ربط بحرى بين مصر وبلاد اليونان .

واجتهد الإسكندر الأكبر فى إبداء مظاهر الاحترام للديانة المصرية ، ويتمثل ذلك فى قبول الإسكندر المقدونى أن يتحرك مسافة أربعمائة ميل إلى الغرب من الإسكندرية لكى يصل إلى مقر كبير الكهنة المصريين لزيارة " معبد آمون[1] " فى واحة سيوة . ولا ريب فى أن كبير الكهنة المصريين كان قد اختار ذلك المكان البعيد فى أقصى غرب وادى النيل ليكون بعيدا عن بطش الفرس وإهانتهم لديانة المصريين .

وفى ربيع العام التالى سنة (٣٣١ ق . م) غادر جيش الإسكندر الأكبر المقدونى الأراضى المصرية ، وعاد إلى ميناء صور لأنه علم أن ملك الفرس " دارا الثالث " قد جمع جيشا كبيرا يعسكر بالقرب من مدينة " نينوى " القديمة لكى يثأر لهزيمته أمام الإسكندر الأكبر فى موقعة إيسوس . وكان الجيش الفارسى يعتمد فى تشكيله الرئيسى على مركبات تجرها أربعة خيول وقد قام الفرس بتثبيت سكاكين ضخمة الحجم ، طويلة على أجناب كل عربة ، وعندما تندفع العربة بين مشاة الأعداء تحصدهم حصد المنجل لسيقان القمح بسرعة كبيرة لينتصر الفرس وينهزم أعداؤهم. ولكن هذا الأسلوب فى القتال لم يكن فعالا ضد جيش جيد التدريب مثل جيش الإسكندر الأكبر المقدونى الذى فلجأ المركبات الفارسية بفتح صفوف المشاة ، بحيث تمر من بينها العربات الفارسية دون أى خسائر ، ثم كانوا يطعنون الخيول التى تجرها بالحراب الطويلة ، ويقطعون سيورها لإجبار العربات على التوقف فى مكانها عاجزة عن الحركة وغير قادرة على القتال . ويطول وصف وقائع وتفاصيل تكتيكات الإسكندر فى موقعة نينوى ، ولكنها كانت تكتيكات بالغة الفعالية ، وانهزم جيش " دارا الثالث " فى هذه المعركة أيضا ، وكان الملك دارا نفسه فى طليعة الفارين من المعركة متجها نحو الشرق حيث وصل إلى نهر دجلة ونهر الفرات فى صميم الإمبراطورية الفارسية ، وأصبح الطريق أمام الإسكندر المقدونى مفتوحا إلى قلب تلك الإمبراطورية الفارسية !

---

(١) كما كانت عليه عقيدة قدماء المصريين !

الملك دارا الثالث يستعد بجيشه للثأر من هزيمته عند إيسوس

وواصل الملك دارا الثالث فراره أمام الإسكندر حتى وصل إلى بلدة "برسبولس" فى أرض " بابل " حيث كان يحتفظ بكنوزه من الذهب والمجوهرات ، وأسرع الإسكندر فى مطاردته حتى لا يتمكن من نقلها إلى جهة بعيدة ، وتمكن الإسكندر بالفعل من الوصول إلى هذه الكنوز واستولى عليها وباع الذهب والمجوهرات إلى كبار التجار وحصل على ثروة كبيرة قدرها المؤرخون بما

يساوى أربعة وأربعين مليون جنيه ، وهو مبلغ كبير من المال بالنسبة لذلك العصر القديم من عصور ما قبل الميلاد .

وكان الملك " دارا الثالث " قد فر فى اتجاه الشمال ، وتقدم الإسكندر بجيشه ودخل مدينة بابل التى كانت عاصمة مملكة حمورابى ونبوخذنصر وغيرهما من أباطرة الفرس المشهورين .

ثم وصل جيش " الإسكندر الأكبر " المقدونى إلى مدينة " سوسا " التى كانت عاصمة لمملكة العيلاميين قبل أن يمتلكها الفرس . ودخل الإسكندر بعد ذلك إلى مدينة " برسبوليس " حيث قرر الإسكندر أن يحرق قصر الملك دارا الثالث " ملك الملوك [1] " كما كان يلقب نفسه انتقاما لقيام الملك الفارسى إجزرسيس بإحراق أثينا فى إحدى الغزوات الفارسية السابقة لبلاد اليونان .

وقام جيش الإسكندر الأكبر المقدونى فى أعقاب الملك دارا الثالث ، ملك الملوك المنسحب فرارا من الإسكندر ، وكأنما الجيش المقدونى فى نزهة استكشافية أو يقوم بمهمة اكتشاف بقاع العالم التى سيضمها الإسكندر إلى مملكته التى صمم على أن تشمل العالم المعمور كله .

وعلم الإسكندر الأكبر أن الملك دارا الثالث قد وصل إلى بلدة فى إقليم "أكباتاتا " هى مدينة همدان الآن ، فواصل الإسكندر زحفه إلى ذلك الإقليم ، ولما وصل إليه علم أن دارا قد غادرها وواصل فراره ، حيث قتله اثنان من ضباطه لعدم قدرته على مواجهة جيش الإسكندر ومواصلته الفرار باستمرار .

وجلس الإسكندر الأكبر فى أحد قصور الملك دارا الثالث الذى كان يحمل لقب " ملك الملوك " ، وتذكر تعاليم أستاذه أرسطوطاليس الذى كان أول من لفت نظره إلى أن فتح الدول بالسيف لا يكفل استمرار بقاء هذه الدول ، ولكن الدول تبقى وتزدهر بازدهار التجارة والزراعة والصناعة ، وكان أستاذه أرسطوطاليس هو الذى لفت نظره أيضا إلى أن توحيد المدن اليونانية فى دولة واحدة ليس هو أكبر الأهداف ، ولكن يوجد هدف أكبر من ذلك هو توحيد العالم

---

[1] من التعبيرات المكروه استعمالها فى الإسلام ؛ فملك الملوك هو الله !

كله بوجه عام ، وتوحيد مملكة الفرس ومملكة اليونان فى دولة واحدة تنشط التجارة فى ربوعها ليزداد الناس ثراء وسعادة . وكان أستاذه أرسطوطاليس قد علمه أيضا أنه من السهل أن تبدأ الحرب ، ومن الصعب أن توقفها لو أردت وقفها ؛ لأن مجريات الحرب لا تتوقف على إرادتك أنت وحدك .

اثنان من الضباط الفرس يقتلان دارا الثالث لعجزه عن مواجهة الإسكندر

كما كان قد علمه أن إقرار السلام بين شعوب العالم هو طريق العالم لتحقيق الرخاء والسعادة لكل الناس .

اندفع الإسكندر فى طريقه وكأنه يقوم بنزهة مع جيشه ، ولم يقنع بانتصاره على الفرس وتحطيم دولتهم

ولكن كبار قادة وضباط الجيش المقدونى ساورهم الشك فى الهدف النهائى للحروب والمعارك التى يخوضونها ، كما ساءهم أن يعمد الإسكندر إلى تعيين بعض الرجال والقادة من الفرس حكاما على المدن التى استطاع الجيش المقدونى فتحها ، كما كانوا يرغبون فى العودة إلى بلادهم فى مقدونيا وغيرها من المدن اليونانية التى جاءوا منها .

ومن الغريب أنه عندما سمح الإسكندر لمن يريد العودة إلى بلاد اليونان لم يشرع فى العودة إلى بلاد اليونان أحد من قادة جيشه .

واستمر الإسكندر الأكبر يتجول بجيشه الذى ينتصر فى كل مكان وفى كل معركة حتى وصل إلى بحر قزوين ، ثم انحرف عنه متجها نحو الشرق نحو المنطقة المعروفة الآن باعتبار أنها بلاد " التركستان الغربية " وأسس بها مدينة وهى المدينة المعروفة الآن باعتبار أنها مدينة " هرات " ثم اتجه نحو كابول فى بلاد الأفغان مرورا بمدينة سمرقند حتى وصل إلى بلاد " التركستان الوسطى " ثم انحدر فى اتجاه الجنوب ووصل إلى الهند مخترقا " ممر خيبر " حيث صادف جيشا كبيرا فيه أفيال كثيرة للملك " بورس Porus" ، وهزم الإسكندر الأكبر جيش الملك بورس الذى وقع فى أسر الإسكندر الأكبر ، وسأله الإسكندر : "كيف تريد أن نعاملك؟ " فقال الملك بورس: " كما يعامل الملك ". وأعجبت هذه الإجابة الصريحة العفوية البسيطة الطبيعية اللهجة الإسكندر وقال : " سنعاملك كما يعامل الملك. أنا ملك وأنت ملك . فلنكن صديقين يا جلالة الملك ."

وأهدى الملك بورس إلى الإسكندر مئات من الأفيال ونصحه أن يضمها إلى جيشه ؛ لأن الفيلة تحمل أحمالا أكبر مما تحمله الخيول وهى تلقى الرعب فى قلوب الأعداء وخصوصا الجنود المشاة .

وبعد المعركة أمر الإسكندر بإنشاء مدينتين : إحداهما هى " إسكندرية نيكايا" ، والثانية هى " إسكندرية بوسيفالا " تخليدا لذكرى حصانه بوسيفالس الذى مات فى ذلك المكان وحزن الإسكندر لموته حزنا كبيرا ، وأمر ببناء المدينة الثانية فى نفس الإقليم لتحمل اسم حصانه الذى كان أثيرا لديه .

وكان الإسكندر قد أعلن أنه لن يوقف التقدم والزحف حتى يصل إلى بحر يستحيل أن يجتازه أى جيش فى العالم . وكانت ثمانية أعوام قد مرت منذ خرج الإسكندر بجيشه من " بيلا " عاصمة مملكة مقدونيا . وكان الجنود يرغبون فى العودة إلى موطنهم الأصلى ، ولكن سرعان ما كان يتضح لهم جميعا أن طريق العودة أكثر صعوبة من طريق المجىء إلى البلاد التى وصلوا إليها .

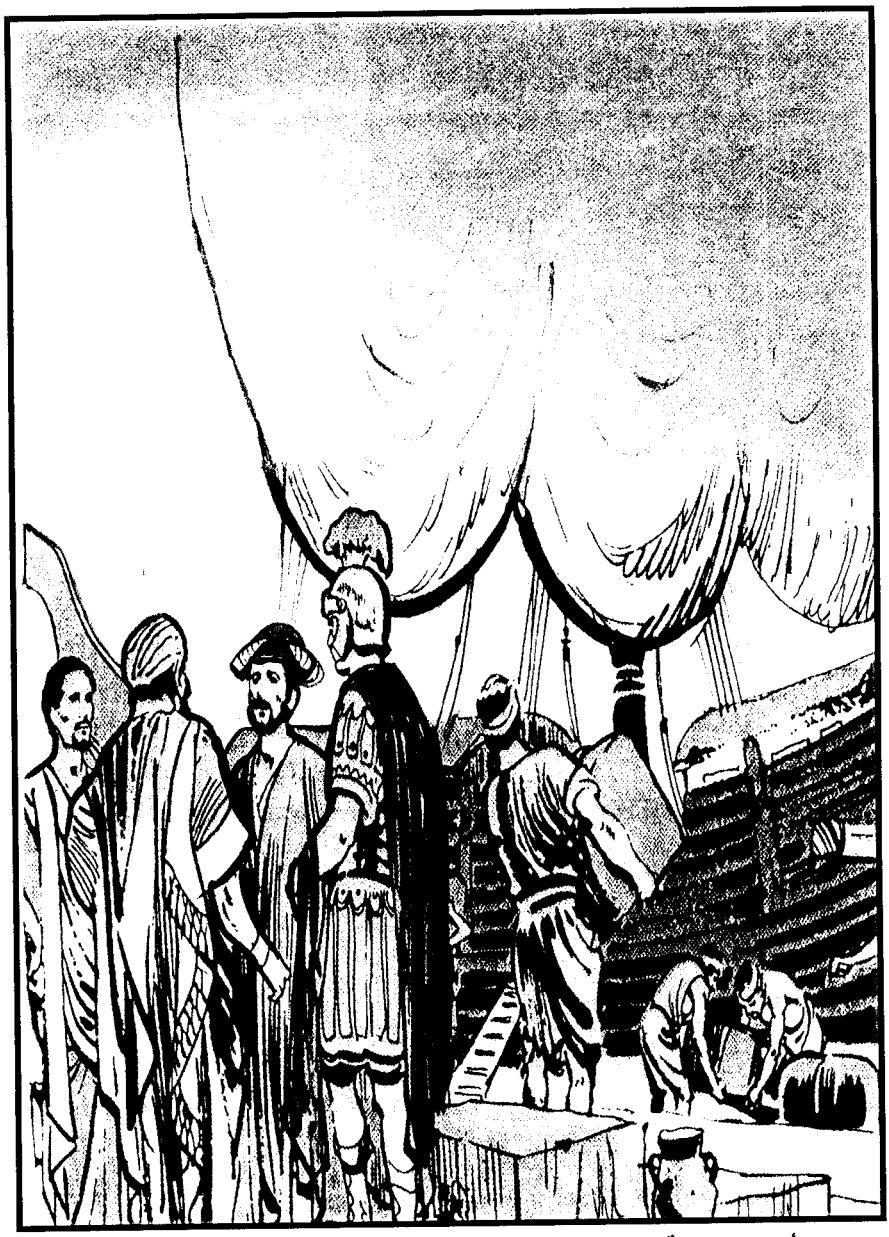

أعجبت إجابة بورس الإسكندر فعفا عنه وقامت بينهما صداقة متينة

وتذكر الإسكندر هنا أيضا قول أستاذه أرسطوطاليس له : " يمكن أن تستولى على إمبراطورية بالمعارك ، ولكن التجارة وحدها هى التى تبقى الإمبراطورية متماسكة " .

وتنفيذا لتلك الوصية الأرسطوطاليسية كان الإسكندر حيثما وصل يلتقى التجار ويسألهم عما يلزم لرواج تجارتهم ، وكان يتعاون معهم فى كل ما يلزمهم . وكان الإسكندر يقول للتجار فى كل مكان يصل إليه : إننى أريد أن أرى العالم كله مملكة واحدة مفتوحة الأبواب لكل التجار من كافة بقاع الأرض . ولتحقيق هذا الهدف أصدر الإسكندر نقودا يمكن تداولها فى جميع الأقطار التى تم للإسكندر فتحها ، وكانت تلك هى أول محاولة لاستخدام عملة عالمية قبل إصدار عملة " اليورو " فى دول الاتحاد الأوروبى .

وكان الإسكندر يهتم كثيرا ببناء المدن الجديدة وخصوصا الموانئ على شواطئ البحار ، فأمر بإنشاء مدينة جديدة هى مدينة " بتالا " بالقرب من البحر .

ووصل الإسكندر الأكبر الآن إلى مدينة كراتشى فى باكستان ، وشاهد مياه بحر العرب ، ثم شاهد مياه المحيط الهندى تمتد جنوبا إلى ما بعد آفاق البصر .

وبعد أن تمكن الإسكندر من امتصاص ثورة وغضب جنوده لتفضيله الفرس لشغل المناصب المهمة فى البلاد المفتوحة أقام وليمة حضرها اليونانيون والمقدونيون والفرس ، وخطب فيهم الإسكندر متمنيا أن يعيش جميع سكان العالم فى سلام .

ولكن الإسكندر لم يلبث أن أصيب بمرض الحمى المفاجئ ومات وهو فى الثالثة والثلاثين من عمره سنة ٣٢٣ ق . م .

وعلى الرغم من أن الإسكندر كان قد تزوج من عروس فارسية هى إحدى بنات الملك الفارسى دارا الثالث فى حفل زفاف جماعى تم فيه زواج تسعين من فرسانه وقادة جيشه من عرائس فارسيات ، كما كان الإسكندر قد تزوج من ابنة ملك سمرقند وكانت تدعى "روكسانا " قبل زواجه من ابنة الملك دارا الثالث فهو لم يشاهد وليا للعهد يرث إمبراطوريته العالمية بعد وفاته .

أسرعت زوجته روكسانا إلى قتل غريمتها وضرتها ابنة الملك دارا ، ثم وضعت روكسانا ولدا بعد وفاة الإسكندر الأكبر لم يلبث أن قتله أعداء الإسكندر مع أمه روكسانا وهو طفل صغير سنة (٣١١ ق . م) كما قتل الفرس أيضا ابنا آخر

للإسكندر كان يدعى هرقل فى طفولتـه درءا لخطـر السـلالة المقدونيـة الدخيلـة على الدولة الفارسية .

وفى بلاد اليونان ، اغتالوا أريدايوس أخا الإسكندر مـن أبيـه الـذى سـبق أن ذكرنا أنه كان ضعيفا ، ولكن الملكة أوليمبيـاس أم الإسـكندر كـانت تخشـى منـه على العرش المقدونى نظرا لطول غياب ابنها الإسكندر عن العاصمـة المقدونيـة بيلا ، وأخيرا قتـل المقدونيـون الملكـة أوليمبيـاس أم الإسـكندر انتقامـا لبعـض ضحاياها . وهكذا فنيت كل عائلة الإسـكندر الأكـبر المقدونـى ذى القرنـين مـن الوجود . ولم يعد الإسكندر إلى بلاد اليونان منذ غادرها طوال ما يزيد على عشـرة أعوام متصلة منذ غادرها فى عام ٣٣٤ ق . م حتى مات سنة ٣٢٣ ق .م .

".. خرج الإسكندر من مقدونيا ولم يعد إليها ، وبعده فنيت كل عائلة الإسكندر من الوجود"